صغيرة، وهي نتائج ضئيلة للغاية حين نتذكر ان الجهد الذي بذل لتحقيقها استغرق اكثر من ثلاثين سنة. اما بقية يهود فلسطين، ومعظمهم من قدماء اليهود الذين لا علاقة لهم بالصهيونية، فتوزعوا على المدن، حيث استأثرت القدس، وحدها، بـ ٢٨٢٥٥ منهم[٣٢].

وبعد مؤتمر بازل، ازداد الأمر، بالنسبة إلى الصهيونيين، سوءاً على سوء، وظل كذلك لسنوات عدة لاحقة[٣٣]. واذا كانت الانظار الصهيونية اتجهت، تحت ضغط مجموعة عوامل اشرنا انفاً الى عدد منها، الى البحث عن مكان آخر للاستيطان على ممتلكات الدولة العثمانية أو خارجها، فان الاهتمام بفلسطين لم يغب كلية في تلك الفترة، ولا في اية فترة أخرى. وقد سعى هرتسل، مسوقاً بهذا الاهتمام، لتليين موقف الدولة العثمانية من خلال صب ضغط دولي شديد عليها.

وهكذا شهدت سنوات ما بعد مؤتمر بازل نشاطاً دبلوماسياً صهيونياً متصلاً اداره هرتسل لاكتساب تأييد الدول الاوروبية من خلال اظهار المنافع التي ستجنيها هذه الدول لو تحقق المشروع الصهيوني[٣٤]. كما شهدت السنوات ذاتها العمل الصهيوني الداخلي لبناء مؤسسات المنظمة الصهيونية العالمية، من جهة، والخلافات العديدة التي تطورت، او استجدت، بين فرقائها، من جهة أخرى[٣٥]. وقد رافقت الحملتين، الدبلوماسية الدولية، والداخلية، نشاطات اعلامية واسعة للغاية، اذ تجندت الاقلام الصهيونية في حملة واسعة لصنع رأي عام ضاغط لصالحها، من جهة، وللحوار بشأن نقاط الاتفاق او الاختلاف بين الفرقاء الصهيونيين العديدين، من جهة أخرى. واذا كان عدد من قادة الرأي والمنظمات السياسية العرب، لجأ، خصوصاً في هذه الفترة التي اشتد فيها عسف السلطان عبدالحميد، الى الدول الاوروبية لتنظيم المعارضة ضده، واذا كان، أيضاً، عدد من الطلبة بدأ يفد اليها من أجل الدراسة، فقد اتيح لبعض هؤلاء ممن يعنيهم الامر، من بين من يعرفون منهم لغات اجنبية، ان يطلعوا على شيء من الشأن الصهيوني. من هنا ظهرت، من بين قادة السياسة والفكر العرب، في هذه الفترة، اوائل الاصوات القليلة التي حذرت من مخاطر الصهيونية. وينبغي ان لا ننسى ان جهد هؤلاء القادة كان جلّه منصباً على تجنيد قوى المعارضة من اجل تحقيق المطالب العربية من السلطات العثمانية، وقد جرى اطلاعهم على الشأن الصهيوني عرضاً، وكذلك جاءت معارضتهم للصهيونية وتحذيراتهم منها في تلك الفترة. اما في البلاد ذاتها فيا دار ما دخلك الا قليل من الشر، ذلك ان قليلاً جداً من الصحف العربية التي كانت مشتركة في وكالات انباء اجنبية امكن ان تتلقى الانباء الموجزة للغاية التي تنقلها الوكالات عن النشاط الصهيوني هنا وهناك، واقل من هذا هو الذي كانت هذه الصحف تهتم بنشره. والى ادبيات هذه الفترة، ينتمي التحذير الذي وجهه نجيب عزوري، وهو من الذين الجأهم الاضطهاد العثماني الى باريس فأسس فيها عصبة الوطن العربي المعارضة. فقد كتب في العام ١٩٠٥: «تبرز في هذا الوقت، وبشكل لم يثر الاهتمام سابقاً، ظاهرتان خطيرتان متعارضتان، رغم تماثل طبيعتهما، هما يقظة الامة العربية وجهود اليهود لتأسيس مملكة اسرائيل القديمة على نطاق واسع للغاية. انه مقدر لهاتين الحركتين ان تتصارعا باستمرار حتى تتغلب احداهما على الأخرى، ومصير العالم كله يعتمد على نتائج الصراع بين الشعبين اللذين يحملان مبدأين متناقضين»[٣٦]. ويبدو ان عزوري وقع على كتابات من تلك التي كان الصهيونيون يشرحون فيها حدود مطامعهم الجغرافية او يتناقشون بشأنها، فهو يبلغ قرّاءه